مجلة الإحياء، المجلد: 20، العدد: 26، سبتمبر 2020، ص - ص: 215 – 240
الترقيم الدولي: 1112-4350 الترقيم الدولي الإلكتروني: 2588-2406

سورة النبأ: من سؤال البعث إلى بعث التساؤل
Surat Al-Naba : frome the question of resurrection to raising the question

خليفة خليفة[1] **أ/ يوسف عبد اللاوي**
معهد العلوم الإسلامية - جامعة الشهيد حمة لخضر الوادي
Khelifa-khelifa@univ-eloued.dz youcabd@yahoo.fr

تاريخ الإرسال: 2019/10/102019 تاريخ القبول: 2020 /07/04

الملخص:
تناولت هذه الدراسة موضوع البعث في سورة النبأ، ومنهجَ القرآن في معالجة هذه القضية المحورية في العقيدة الإسلامية.
وخلُصت الدراسة إلى أن منهج القرآن في الإجابة عن التساؤلات التي كان يطرحها المشركون ـ كما ذكرت سورة عمّ المسماة أيضا سورة التساؤل ـ يرتكز على ثلاث دعائم:
أولها: الاعتراف بالتساؤل كفعل إنساني، وما ينتج عنه ضرورةً من اختلاف، فهما ــ التساؤل والاختلاف ــ طبيعتان بشريتان، لا يجب كبتها ولا مصادرة حق الإنسان في ممارستها.
ثانيها: الانطلاق في الإجابة عن سؤال البعث من خلال الآيات الكونية التي يراها المشركون المتسائِلون يوميا، مثل: الأرض والجبال والنوم وتعاقب الليل والنهار...الخ، والاستدلال بها على إمكانية البعث، بل حتمية وقوعه.
ثالثها: بيان عاقبة المؤمنين بالبعث والمكذبين به، وما سيلقاه كل فريق يوم الفصل، يومَ يقوم الروح والملائكة لله تعالى صفا لا يتكلمون إلا بإذنه.
ونستنتج من هذا أن المنهج القرآني في معالجة موضوع البعث لا ينبغي قصْره على البعث، ولا حصْره على القرآن الكريم فقط، بل يجب تعميم هذا المنهج القرآني،

1 – المؤلف المرسل.

وأن نستفيد منه نحن المسلمون في معالجة مختلف القضايا والتحديات التي تواجه مجتمعاتنا المسلمة، مثل موجة الإلحاد ومدّ الأفكار المنحرفة.

الكلمات المفتاحية: البعث؛ التساؤل؛ يوم الفصل؛ المكذبين...الخ

Abstract:

This study deals with the subject of Ba'ath in Surat Al-Naba, and the method of the Qur'an in dealing with this central issue in the Islamic faith.

The study concluded that the curanic method in answering the questions posed by the polytheists - as mentioned by Surat Amma, also called Sura ATTASSAOUL - is based on three pillars:

The first is the recognition of the question as a human act, and the resulting necessity of difference.

Second: to start in answering the Baath question through the cosmic verses seen by polytheists wondering daily, such as: the land and the mountains and sleep and the succession of night and day ... etc, and to infer them on the possibility of the Baath, but the inevitability of its occurrence.

Third: Statement of the consequences of the believers of the Baath and liars, and what will be received by each team on the day of separation, the day the spirit and angels to God Almighty do not speak only with his permission.

We conclude that the Quranic approach in dealing with the issue of the Baath should not be limited to the Baath, and not only to the Koran, but must be generalized this curanic approach, and to benefit from it we Muslims in addressing the various issues and challenges facing our Muslim societies, such as the wave of atheism and the extension of ideas Perverted.

Key words : day of separation; polytheist; the believers…etc

مقدّمة:

الحمد لله ربّ العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادقِ الوعدِ الأمين، وعلى آله وأصحابه أجمعين، أما بعد:

أنزل الله تعالى كتابه ليكون هداية للعالمين، ونورا يبيّن لهم طُرُق الصلاح ليسلكوها، وسُبُل الشقاء ليجتنبوها، وما ذاك إلا لينالوا الفلاح في الدنيا، والسعادة في الآخرة.

ولا يحصل لهم فلاح، ولا تتمّ لهم سعادة إلا إذا صلحت ـ ابتداء ـ عقيدتهم وأفكارهم، لهذا فقد مثّل موضوع العقيدة قطبَ الرحى في أوائل السور نزولا من القرآن طوال العهد المكي، وكان القرآن المكي مهتمّا بتقرير العقيدة وتثبيت أصولها، والاستدلال عليها، وسوْق البراهين المدلِّلة عليها، وهدْم المعتقدات الوثنية الباطلة، وإقامة الحجة على المشركين، وإلزامهم الدليل بما يسوقه القرآن.

ومن بين ما ركّز عليه القرآن واهتمّ به هو إثبات عقيدة البعث، وأن العباد كلّهم صائرون إلى الموت، ولهم ميعاد يومٍ يقومون فيه لربّ العالمين، من أجل أن يقضيَ بينهم، ويجازيَهم على أعمالهم التي اقترفوها في حياتهم الدنيا، ويكافئَ كل عامل بما يتناسب وما قدّمه من أفعال؛ فليس مَن كان مؤمنا كمَن كان كافرا، وليس من حكمة الله تعالى أن يخلُق الخَلْق، ثم يتركَهم يبغي بعضهم على بعض، دون أن يجعل لهم يوما يحاسَبون فيه على أفعالهم.

لكن تقرير عقيدة البعث لدى كفار مكة يصطدم بعقيدةٍ مخالفة بل مضادة، وهي إنكار البعث والنشور، وهذا ما عبَّر عنه قولهم ﴿إِنْ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ﴾ (المؤمنون: 37)، وقولهم ﴿وَقَالُوا أَإِذَا ضَلَلْنَا فِي الْأَرْضِ أَإِنَّا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ ۚ بَلْ هُم بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ كَافِرُونَ﴾ (السجدة: 10)، وتستمدّ هذه العقيدة الباطلة قوّتها من قِدَمها وتوارثها جيلا عن جيل، لدرجة أنهم يصدّقونها، ويعتقدون بها دون تفكير ولا تمحيص، كما قال الله تعالى عنهم: ﴿إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ آثَارِهِم مُّقْتَدُونَ﴾ (الزخرف: 23)، أي أنهم لا يفكرون في عقيدة إنكار البعث ـ كما في غيرها من العقائد ـ بل يفكرون من خلالها ووِفق ما تقتضيه؛ لأنها جزء ـ بل أساس ـ منظومتهم الفكرية وطريقة نظرتهم للحياة والوجود.

لهذا فتقرير عقيدة البعث كفكرة قد لا يُحْدث تغييرا جذريا في تفكير القوم، لأنه ليس سوى مجابهة فكرة بفكرة، والطبيعي في مثل هذه الحالات أن تنتصر الفكرة القديمة، لأن القوم اعتادوا عليها، والإنسان ابن عاداته، فهي أسهل في نظرهم.

وبما أن القرآن يريد إحداث تغيير جذري ودائم في أفكار القوم؛ فإنه عَمَد إلى تغيير طريقة تفكيرهم التي أنتجت مثل هذه الأفكار الباطلة، وهذه السورة التي بين أيدينا سورة النبأ تقدّم لنا واحدا من أهمّ الوسائل التي استعملها القرآن لهدْم معتقدات كفار مكة ـ والبشرية من بعدهم ـ ألا وهو التساؤل.

الإشكالية: وسنحاول في هذه الورقات أن نقف على طريقة استخدام القرآن لسلاح التساؤل في زعزعة عقائدهم المتوارثة، وكيف تدرَجَ معهم وِفْق منهج حكيم ليَصِلَ إلى تقرير عقيدة البعث، فلا بد لنا من الإجابة عن هذه الأسئلة:

فالإشكال الرئيس هو: ما هو المنهج القرآني في تغيير طريقة تفكير هؤلاء القوم إلى عقلية تقبل الحقّ وتُذْعن له؟.

وابتغاء الإجابة عنه لا بد من تساؤلات فرعية خادمة له ومعينة عليه، من قبيل:ما هو الجوّ العام الذي نزلت فيه السورة؟، وعلى ماذا اعتمد القرآن في زعزعة الأفكار القديمة؟، وعلى أيّ أساس بنى القرآن فكرته الجديدة؟.

وللإجابة عن هذه التساؤلات ـ وغيرها ـ قسّمتُ البحث إلى تمهيد وثلاثة مباحث.

في التمهيد ألمعتُ إلى بطاقة تعريفية بأهم المعلومات عن السورة، مثل: عدد آياتها وأسمائها المختلفة.

أما أول المباحث فخّصصته للحديث عن أوجه تناسب افتتاحية السورة مع خاتمتها، وتناسب فاتحتها مع خاتمة السورة التي قبلها.

وفي المبحث الثاني عرضتُ فيه الجوّ الذي نزلت فيه السورة ومحورها الذي دار عليه.

أما آخر المباحث فبيّنت فيه المحاور والأفكار الأساس التي تحدثت عنها السورة، وهي أربعة أفكار.

وفي مطلب ختامي عرضتُ خلاصة الأفكار الواردة في البحث.

والخاتمة كانت لعرض أهم النتائج التي توصلت إليها في هذه الدراسة

أهمية الدراسة: تتبدّى أهمية هذه الدراسة من خلال أهمية الموضوع نفسه؛ وهو موضوع إثبات البعث، باعتباره رُكنا ركينا من العقيدة الإسلامية، كما يُعتبَر إنكاره هَدْما للمعتقدات التي أتى بها القرآن الكريم وأكّدتها السنة النبوية.

ومن جهة أخرى؛ فإن أهمية الموضوع تظهر من خلال إبرازها لمنهج القرآن الكريم في التعامل مع الأسئلة، وكيفية معالجتها والإجابة عنها، وهذا المنهج هو ما تحتاجه مجتمعاتنا التي تتعرض اليوم منظومتها القِيَمية والعقدية لأسئلة إلحادية تطعن في أصل العقائد ومسلَّمات هذا الدين الحنيف، إضافة إلى مدّ الأفكار المنحرفة والمتطرّفة التي اجتاحت كثيرا من البلاد العربية والمسلمة.

أهداف البحث: تحاول هذه الدراسة عرض منهج القرآن الكريم في معالجة الأسئلة التي يطرحها المعاندون او الموافقون، وكيفية الإجابة عن أسئلتهم بالشكل الذي يقيم الحجة عليهم ولا يترك لهم مجالا للاعتراض.

تمهيد: بين يدي السورة: آيُها وأسماؤها

سورة النبأ مكية بإجماع المفسرين، وإن كانت الروايات لا تُسْعفنا للوقوف على سنة نزولها بالضبط، فالذي يُفهم من بعض الآثار أنّ سورة النبأ نزلت في أول مبعث النبي . ﷺ

قال صاحب اللباب في علوم الكتاب "روى أبو صالح عن ابن عباس رضي الله عنه قال: كانت قريش تجلس لمّا نزل القرآن فتتحدث فيما بينهم فمنهم المصدّقُ ومنهم المكذّبُ به، فنزلت ﴿عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ﴾ (النبأ: 1)"[1].

أما عدد آياتها فبلغ أربعين على قول الجمهور، وخالَفَهم مَن قال أنها إحدى وأربعون آية[2].

ولهذه السورة أكثر من اسم، وهو ما يدلّ على عظمتها وعلوّ قَدْرها؛ فإن الشيء إذا كان له أكثر من اسم دلّ ذلك على شرفه ومكانته، وأشهر أسمائها "النبأ"، وذلك لقوله تعالى: ﴿عَنِ النَّبَإِ الْعَظِيمِ﴾ (النبأ: 2)، وتُسمى أيضا "عم" و" عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ" جَرْيا على عادة تسمية السورة بأول كلمة فيها.

وتُسمى "التساؤل" لقوله ﴿عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ﴾ (النبأ: 1)، وأيضا يُطلَق عليها "المعصرات" لقوله تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَا مِنَ الْمُعْصِرَاتِ مَاءً ثَجَّاجًا﴾ (النبأ: 14)، ولم يَرِد هذا اللفظ ـ المعصرات ـ في غيرها من السور، إذا فتسمية السورة بهذا

الاسم هو من قبيل تسمية الشيء بأغرب شيء فيه، وهذا من عادات العرب في كلامهم وتخاطبهم[3].

المبحث الأول: تناسبات السورة

لا بد من الوقوف على جوانب تناسب السورة، سواء تناسب مطلعها مع مقطعها، أو تناسب افتتاحيتها مع خاتمة التي قبلها.

أولا: مناسبة افتتاحية السورة مع خاتمتها

بدأت السورة بتعظيم موضوع النبأ الذي يتساءلون عنه وتفخيمه، وأنكرت عليهم إنكارهم النبأ العظيم، الذي هو البعث، وأنه من الوضوح حيث لا يمكن أن ينكره إلا مكابر أو معاند، وختمت بتهديدهم بالعذاب القريب، فقال ﴿إِنَّا أَنْذَرْنَاكُمْ عَذَابًا قَرِيبًا يَوْمَ يَنْظُرُ الْمَرْءُ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ وَيَقُولُ الْكَافِرُ يَا لَيْتَنِي كُنْتُ تُرَابًا﴾ (النبأ: 40).

فهذا العذاب القريب هو مصير كل مَن يجحد بالنبأ العظيم الذي قامت الأدلة والبراهين على إثباته والتدليل عليه.

ثانيا: المناسبة بين افتتاحية سورة النبأ وخاتمة ما قبلها

لما أخبر سبحانه في المرسلات أنهم كذّبوا بيوم الفصل، "وحَكَم على أن لهم بذلك الويل المضاعف المكرر، وختمها بأنهم إن كفروا بهذا القرآن لم يؤمنوا بعده بشيء، افتتح هذه بأن ما خالفوا فيه وكذّبوا الرسول في أمره لا يقبل النزاع، وأنهم إن لم يؤمنوا به ـ كما لم يؤمنوا بالقرآن ـ فإنهم لا يُرجى أن يؤمنوا بما سواه، فقال معَجِّبا منهم غاية العجب، زاجرا لهم ومنكرا عليهم ومتوعدا لهم ومفخما للأمر بصيغة الاستفهام، منبّها على أنه ينبغي أن لا يُعقَل خلافهم، ولا يُعرَف محلّ نزاعهم، إعلاما بأن ما يختلفون فيه لوضوحه لا يُصدَّق أن عاقلا يخالف أمره فيه، فلا ينبغي التساؤل إلا عمّا هو خفي"[4].

المبحث الثاني: جوّ السورة ومحورها

بما أن السورة من أوائل السور نزولا في القرآن، فإنه يمكن أن نتصوّر جوّ الاضطراب والتنازع الذي نزلت فيه، واضطراب المشركين حول دعوة النبي ﷺ، وتباين مواقفهم إزاءها.

أولا: الجو الذي نزلت فيه السورة

وردت سورة النبأ، كما هو الحال مع سائر القرآن المكي، في جوٍّ من الصراع بين الحق والباطل، والتنازع بين فكرة التوحيد التي جاء بها محمد ﷺ وأفكار الوثنية التي ورِثها قوم مكة عن أسلافهم.

فالقرآن المكي في مجمله يأتي ليقرّر العقيدة وينافح عنها، ويورِدَ الأدلة والبراهين على أنها الحق الذي لا مراء فيه، وأن ما يدعونه من دون الله هو الباطل بعينه.

لكن سورة النبأ لا تأتي لتقرر العقيدة الصحيحة على القوم، بل وَرَدت ضمن جوٍّ من التساؤل الذي قام به المشركون ـ أو حتى المؤمنون على اختلاف أغراض كل فريق ـ، فهم يتساءلون؛ أي يسأل بعضهم بعضا، وطبيعي ما داموا قد تساءلوا أن تختلف إجاباتهم وتتباين.

وكل هذا التساؤل والاختلاف إنما هو عن موضوع النبأ العظيم، وهو البعث، الذي جاءت هذه السورة لتقرره وتقيم الأدلة عليه.

ثانيا: محور السورة

في هذا الجوّ المحتدم وردت سورة النبأ لتبث لهم حقيقة واحدة هي البعث، ويدورَ عليه فلك السورة كلها.

يقول البقاعي ـ رحمه الله ـ "مقصودها الدلالة على أن يوم القيامة الذي كانوا مجمعين على نفيه، وصاروا بعد بعثة النبي ﷺ في خلاف فيه مع المؤمنين، ثابتٌ ثباتا لا يحتمل شكا ولا خلافا بوجه، لأن خالق الخَلْق مع أنه حكيم قادر على ما يريد ، دبّرهم أحسن تدبير، ... والحكيم لا يترك عبيده وهو تام القدرة كامل السلطان يمرحون يبغي بعضهم على بعض، ويأكلون خيره ويعبدون غيره بلا حساب، فكيف إذا كان حاكما، فكيف إذا كان أحكم الحاكمين، هذا ما لا يجوز في عقلٍ، ولا يخطر ببال، فالعلم به واقع قطعا"[5].

وقد تدرجت السورة في خضم معالجتها لموضوع البعث وِفق أفكار جزئية، تغطّي الفكرةَ الأساس، وهذه الأفكار هي:

- ابتدأت بالإخبار عن موضوع القيامة والبعث والجزاء الذي تساءل عنه كفار مكة، من الآية 1 إلى الآية 5.

- أقامت البراهين على قدرة الله تعالى في الخَلْق، من 6 إلى 16.
- ذكرت البعث وحدّدت وقته وميعاده، من 17 إلى 20.
- تحدثت عن جهنم المُعَدَّة للكافرين وحالَهم فيها، من 21 إلى 30.
- تحدثت عن المتقين، والنعيم الذي يُنعِم به الله تعالى عليهم في الجنة، من 31 إلى 37.
- خُتمت بالحديث عن يوم القيامة، حيث يخضع الكون بكل ما فيه لله تعالى وحده، ويَلْقى كل امرئ جزاء عمله، ويتمنى الكافر لو يموت ويفنى من شدة الحسرة والندم، من 38 إلى 40.

هذه الأفكار غطت جوانب مهمة من موضوع البعث، وهي تجري على نسق متسق ونمط متسلسل تسلسلا منطقيا، لا نشوز فيه.

على أن مقصودنا من هذه الدراسة ليس بيان فكرة البعث من حيث هي فكرة تُقابِل أفكار المشركين الباطلة، بل المراد هو عرض منهج القرآن في طرح هذه الفكرة والاستدلال عليها، وإقامة الحجة على المخالفين لها، وهذا التناول يجعل السورة ليست ذات طابع تقريري لفكرة البعث، بل ذات طابع تساؤلي، يحاور ويبرهن ويُدلِّل.

والمقصود القرآني من هذا النقاش مع المشركين ـ إلى جانب تغيير أفكارهم الفاسدة ـ هو تغيير طريقة تفكيرهم التي أوصلتْهم إلى مثل هذه الأفكار، وهذا لا يتمّ إلا بإشاعة جوّ التساؤل والاختلاف فيما بينهم، أما لو كان الأمر مجرّد مقارعة فكرة بفكرة فلن يكون لفكرة البعث ثبات أمام عامل الزمن ومتغيراته؛ لأنها ستصبح هي أيضا فكرة من الأفكار، كما حدث مع الأديان السماوية الذي ذابت بفعل عامل قاهر هو الزمن.

أما إذا تمّ تغيير طريقة تفكير القوم، وإزالة العوائق التي تحول بينهم وبين الحقيقة، فإن الانتصار سيكون حليفا للعقيدة الإسلامية، لأنها الفكرة الوحيدة القادرة على الصمود أمام عامليْ التساؤل والاختلاف.

وهذا ما سنحاول التركيز عليه أثناء معالجتنا لهذا الموضوع بين ثنايا هذه السورة المباركة.

المبحث الثالث: محاور السورة

تبدأ السورة المسماة ب"التساؤل" بسؤال، وهو عن ماهية ما يتساءل عنه القوم، فتقول السورة ﴿عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ﴾ (النبأ: 1).

والسر في افتتاح السورة بسؤال " هو "تشويقٌ ثم تهويلٌ لما سيذكر بعده، فهو من الفواتح البديعة لما فيها من أسلوب عزيز غير مألوف ومن تشويق بطريقة الإجمال ثم التفصيل المحصلة لتمكن الخبر الآتي بعده في نفس السامع أكمل تمكن، وإذ كان هذا الافتتاح مؤذنا بعظيم أمرٍ كان مؤذنا بالتصدي لقول فصلٍ فيه، ولمّا كان في ذلك إشعار بأهم ما فيه خوضُهم يومئذ يُجعَل افتتاحَ الكلام به من براعة الاستهلال".[6]

أولا: التأسيس لشرعية التساؤل والاختلاف

من الغريب أن معظم المفسرين قالوا أن هذا التساؤل فيه أسلوب إنكاري يتضمن معنى التهديد والتخويف[7]، ولكن الله تعالى لا تُعجزه اللغة، ولو كان مراد الله تعالى تخويفَهم وإنكارَ تساؤلهم عليهم لقال سبحانه "لمَ يتساءلون"، ولكنه عدل عن ذلك إلى كلمة "عمّ" المرادُ بها بيان الماهية، بل إنه ليس من المبالغة إذا قلنا أن هذا العدول الرباني عن كلمة "لم" إلى كلمة "عم" يتضمن إقرارا بشرعية التساؤل والسؤال عموما.

لذلك نجد أن القرآن يورد أسئلة ويجيب عليها، مثل قوله تعالى: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْجِبَالِ فَقُلْ يَنْسِفُهَا رَبِّي نَسْفًا (105) فَيَذَرُهَا قَاعًا صَفْصَفًا (106) لَا تَرَى فِيهَا عِوَجًا وَلَا أَمْتًا (107)﴾ (طه: 105-107)، بل ويُخبر نبيه الكريم ﷺ أن المشركين والمؤمنين سيسألونه، ويُلقّنه الإجابة عن هذه الأسئلة، من قبيل ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَهِلَّةِ قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالْحَجِّ وَلَيْسَ الْبِرُّ بِأَنْ تَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ ظُهُورِهَا وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنِ اتَّقَى وَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ (البقرة: 189)، وعن المحيض في قوله ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذًى فَاعْتَزِلُوا النِّسَاءَ فِي الْمَحِيضِ وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّى يَطْهُرْنَ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ﴾ (البقرة: 222)، ومن المشركين ﴿وَلَا يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّى يَرُدُّوكُمْ عَنْ دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُوا وَمَنْ يَرْتَدِدْ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُولَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ (البقرة: 217).

ولو كان السؤال منهيا عنه لَمَا ورد في القرآن إلا لإظهار الإنكار والتهديد، بل لما تم ذكره رأسا.

إذا فليس في القرآن ما يمنع السؤال، فما بالك بالتساؤل الذي فيه كثرة الأسئلة وتعدّد السائلين.

ولعل الذي حَدَا بالمفسرين إلى القول بتضمن السؤال معنى الإنكار هو مجيءُ "كلا" في السياق، و"كلا" حرف ردع وزجر، وهي لا تُذكَر إلا في السور المكية، فما دامت حرف ردع، فمن البديهي أن القوم قد أتوْا بما يستحق الردع والزجر، والذي هو هنا التساؤل، وما أيّد فهمهم هو تكرار الحرف "كلا" المُشْعِرُ بصريح التهديد.

وعلى كلّ فالمراد بهذا الأسلوب هو التفخيم وليس التهديد؛ أي تفخيم موضوع السؤال، الذي هو البعث، وإظهار قيمته ومكانته، وليس المراد إنكار السؤال عنه، وهذا ما ذهب إليه الشوكاني في تفسيره، فقال: " ثم ذكر سبحانه تساؤلهم عن ماذا، وبيّنه فقال ﴿عَنِ النَّبَإِ الْعَظِيمِ﴾ (النبأ: 2) فأورده سبحانه أولا على طريقة الاستفهام مبهَما لتتوجّه إليه أذهانهم وتلتفت إليه أفهامهم، ثم بيّنه بما يفيد تعظيمه وتفخيمه، كأنه قيل: عن أي شيء يتساءلون هل أخبركم به؟، ثم قيل بطريق الجواب ﴿عَنِ النَّبَإِ الْعَظِيمِ﴾ (النبأ: 2)، على منهاج ﴿يَوْمَ هُمْ بَارِزُونَ لَا يَخْفَى عَلَى اللَّهِ مِنْهُمْ شَيْءٌ لِمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ﴾ (غافر: 16)[8].

فالقرآن لا يُصادر حقهم في التساؤل، ولا ينكر عليهم أن طَرَق هذا الموضوع بالَهم، بل حتى لا ينكر أبدا اختلافهم فيه، بل ذكر ما يُشعِر الإقرار به، فقال ﴿الَّذِي هُمْ فِيهِ مُخْتَلِفُونَ﴾ (النبأ: 3)، ولسنا نحتاج إلى تقرير أن الاختلاف جِبِلة طبيعية في بني البشر، أقرّها الله تعالى خَلْقا، وأوردها في كتابه ذِكرا، فقال ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ (118) إِلَّا مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ (119)﴾ (هود: 118-119).

وليس الاعتراف بحقهم في الاختلاف معناه إقرارَهم على أفكارهم ومعتقداتهم الباطلة، بل المقصودُ الاعترافُ بالتساؤل كفعل إنساني وما ينجم عنه ضرورةً من اختلاف وتباين.

والقرآن لا يهدف إلى تغيير أفكارهم فقط، بل يهدف ـ أول ما يهدف ـ إلى تصحيح طريقة تفكيرهم ونظرتهم للأمور والحياة والوجود والخلق، إذ ليست وثنيتهم وضلالهم إلا مُخرَجات نجمت عن طريقة تفكيرٍ معينة، توارثتها الأجيال، وأخذها الخالف عن السالف، ولا يمكن تغيير فكرة دون تغيير طريقة التفكير التي أوصلت إليها.

لهذا أقرّ القرآن لهم بالتساؤل واعترف لهم بالاختلاف لأن هذين الخطوتين هما:

من جهة: أنجع الوسائل في هدم معتقداتهم الباطلة، إذْ قبل تلقينهم التوحيد، لا بدّ أن تكون معتقداتهم ومسلماتهم التي اعتادوا عليها بل وماتوا دونها محل تساؤل بل واختلاف، وبالتالي تفقد قوتها ومرجعيتها.

ومن جهة ثانية: هما الأساس الذي تُبنى عليه الفكرة الصحيحة التي أتى بها الإسلام، لأن فكرة الجاهلية كانت مبنية على التقليد واتباعٍ أعمى للآباء والأجداد، لذلك لم ولن تصمد أمام قوة التساؤل وحتمية الاختلاف، أما فكرة الإسلام فهي الفكرة التي يمكنها أن تصمد أمامهما، بل هي الفكرة الوحيدة الممكنة التي يمكن أن تنتج عن هذين الخطوتين؛ إذْ كلما تساءلْتَ أكثر عن النبأ العظيم وسمحت للأفكار المختلفة أن تجول في ذهنك دون كبت أو مصادرة، فإنك في النهاية ستصل إلى حقيقة واحدة ألا وهي حقيقة البعث.

ورغم أنه وجود أحد هذين الوسيلتيْن لا يعني ضرورة وجود الآخر، إلا أن القرآن قد استخدمهما في هذه السورة، نظرا لحساسية الجو الذي نزلت فيه من جهة، ولأهمية موضوع السورة من جهة أخرى.

وهنا لفتة إلهية معجزة، وذلك في استخدام التساؤل في مقابل النبأ، فمن المعروف أن هناك سؤالا وهناك تساؤلا، والسؤال عام، وأخص منه التساؤل الذي هو كثرة الأسئلة، والأمر ذاته في النبأ بالنسبة للخبر؛ فالخبر يحتمل الصدق والكذب، أما النبأ فهو الأمر المثبت الذي لا يحتمل إلا الصدق، كأن الله تعالى في ربطه في هذا السياق للنبأ بالتساؤل يدلّنا على أن الحصول على النبأ لا يتمّ إلا عن طريق التساؤل فقط، إذْ يمكن من خلال مجرد سؤال أن تحصل على خبر يحتمل الصدق والكذب، ولكنك لن تحصل على النبأ الصادق الذي لا

يحتمل أي كذب إلا إذا قمت بالسؤال مرة ومرات، وسألت نفسك وسألت مَن حولك، وهذا بالنسبة للنبأ العادي، فما بالك حين يتعلق الأمر بالنبأ العظيم.

ثانيا: سَوْق الأدلة على البعث

وبعدها شرع القرآن الكريم في سوْق الدلائل على أن ما يتساءلون عنه ويختلفون فيه ـ وهو البعث[9]ـ هو نبأ عظيم، أي أنه صادق واقع لا مجال للتشكيك فيه، بَلْهَ نفيه وإنكاره، وساق لهم تسع آيات وبراهينَ تثبت كلها حتمية البعث وضرورته.

وما يلفت الانتباه في هذه الدلائل هو الصيغة التي وردت فيها؛ إذْ ذكرها القرآن الكريم عن طريق السؤال، فقال ﴿أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ مِهَادًا﴾ (النبأ: 6)، واستخدم طريقة السؤال التقريري الذي لا يمكن الإجابة عليه بالنفي، وهذه فائدة السؤال ب "ألم"، إذ الطريقة الوحيدة للجواب عنه هي " بلى".

ويوضح سيد قطب السبب في اختيار الصيغة الاستفهامية، فيقول" وصيغة الاستفهام الموجَّهة إلى المخاطبين ـ وهي في اللغة تفيد التقرير ـ صيغة مقصودة هنا، وكأنما هي يد قوية تهزّ الغافلين، وهي توجّه أنظارهم وقلوبهم إلى هذا الحشد من الخلائق والظواهر التي تشي بما وراءها من التدبير والتقدير، والقدرة على الإنشاء والإعادة، والحكمة التي لا تدع أمر الخلائق سدى بلا حساب ولا جزاء، ومن هنا تلتقي بالنبأ العظيم الذي هم مختلفون"[10]، كأن الله تعالى قابَلَ تساؤلهم بتساؤل، فأورد مجموعةً من الأسئلة التي تفيد بعد الإجابة عنها أن البعث حتمية ضرورية لا أنه ممكن وقابلٌ للتحقق.

بدأ القرآن الكريم معهم بالأرض وكيفية تسويتها وتهيئتها لهم، حتى جعلها كأحسن ما تكون التسوية، بأن تكون لهم كما تكون المهد للصبي مهيئة، والمعنى "أنها كالمهد للصبي، وهو ما يُمهَّد له فيُنوَّم عليه"[11]، وأدنى ارتفاع أو انخفاض فيه ينزع عنه صفة الراحة والاطمئنان التي يستشعرها الصبي وهو نائم في مهده، فأي اضطراب في الأرض يُخْرِجها عن كونها مهدا، ولولا هذا التمهيد لاستحال عليهم المشي عليها والسعي في أطرافها للتجارة والعيش والعمل وغير ذلك.

وبما أن الموضوع المتساءَل عنه والمختلف فيه هو البعث والنشور، وبما أن البعث لا يكون إلا من الأرض التي يصير إليها كل البشر، فإنه من الحسن البدء

بالاستدلال على البعث بها، إذْ هي أول ما يسبق إلى الذهن حين الحديث عن البعث والنشور.

وثنى ذلك بالجبال التي هي كالوتد للخيمة، تحفظها أن تسقط، فكما لا قيام للخيمة دون أوتاد، كذلك لا ثبات للأرض دون جبال، وقد امتنّ الله تعالى في أكثرَ من موضع بالجبال وأهميتها وحفظها للأرض أن تميد بأهلها، فقال ﴿وَأَلْقَى فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ وَأَنْهَارًا وَسُبُلًا لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ (النحل: 15)، وقال أيضا ﴿وَجَعَلْنَا فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَنْ تَمِيدَ بِهِمْ وَجَعَلْنَا فِيهَا فِجَاجًا سُبُلًا لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ﴾ (الأنبياء: 31).

﴿وَخَلَقْنَاكُمْ أَزْوَاجًا﴾ (النبأ: 8)، وهنا استعاض عن لفظ "الجعل" بلفظ "الخلق"، والفارق بينهما واضح؛ إذ الخلق هو إيجاد شيء بعد أن لم يكن موجودا، وأما الجعل فهو التصيير من حال إلى حال.

وذكّرهم بأصل خَلْقهم، وأنه تعالى هو الذي خَلَقهم وأوجدهم من عدم، واستدل على البعث بالخلق؛ لأن الذي استطاع إيجادهم من عدم، فإنه من باب أولى قادر على أعادة بعثهم تارة أخرى[12]، ومعنى كَونهم أزواجا أي: "أنواعا من ألوانكم وصوركم وألسنتكم، وقال قوم: مزدوجين ذكرا وأنثى"[13].

﴿وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتًا﴾ (النبأ: 9)، قال الزمخشري "سباتا: موتا، والمسبوت الميت، من السبت وهو القطع لأنه مقطوع عن الحركة، والنوم أحد التوفيين على بناء الأدواء، وقيل السبات: الراحة"[14].

وذِكرُه للنوم هنا ملائمٌ لموضوع البعث، لأن الإنسان في حال نومه واستيقاظه يشبه حال البعث بعد الموت، لأن المرء أثناء نومه يصبح أشبه بالميت من حيث انعدام الحركة والإحساس بما حوله، ثم يستيقظ لتعود فيه الحياة مرة أخرى، فليس النوم إلا موتا أصغرَ يُعاينه الإنسان كل يوم.

ومن الملاحظ في استدلال بالخلق والنوم أن الله تعالى خاطبهم بضمائر المخاطب، فقال "خلقناكم، نومكم"، كأنه يريد أن يقيم الدليل عليهم من أنفسهم، ويستدلَّ عليهم بأمور يعيشونها ويرونها كل يوم وكل حين، كما قال في موضع آخر ﴿سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ (فصلت: 53).

﴿وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ لِبَاسًا (10) وَجَعَلْنَا النَّهَارَ مَعَاشًا (11)﴾ (النبأ: 10-11)، وكَوْن الليل لباسا سببه أنه ساتر بظلمته،" لأن ظلمته تغشى الأشخاص وتشتمل عليها

كما يشتمل اللباس على صاحبه"[15]، ومن جهة أخرى فإن تسمية النهار بالمعاش مَرَدّه إلى أن كل ما يعاش فيه "فهو معاش، والنهار معاش؛ أي سبب للمعاش والتصرف في المصالح"[16]، وأنسب ما يتصل بالنوم هو الليل والنهار، إذ يكون الليل ـ غالبا ـ وقتا للنوم والراحة، ويكون النهار وقت العمل والكسب، فذِكْرهما عقب ذِكْر النوم أَلْيَق، كما أنهما في تعاقبهما يُذَكران الإنسان أن الحياة لا تسير على نمط واحد، بل تتجدد كل يوم، فكما يأتي الليل ليغطيَ الأرض كما يغطي اللباس الجسد، يأتي النهار ليبعث الحياة من جديد، وذلك لتسهيل الكسب والعيش ﴿وَبَنَيْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعًا شِدَادًا﴾ (النبأ: 12)، هنا امتنّ الله تعالى عليهم بالسموات السبع وبالشمس.

وما يجب التنبه له هو ذلك التدرج الإلهي في سوْق الدلائل والبراهين، وكيف تدرج معهم من الأسفل إلى الأعلى؛ فقد بدأ معهم من الأرض والجبال اللذيْن هما تحت أقدامهم، ثم ارتقى فاستدل بأنفسهم وأصل خَلْقها، ثم بحالة منها وهي النوم، وبعدها استدلّ بشيء أعلى من حيث النظر إليه وهو الليل والنهار، ثم ارتقى إلى السموات والشمس اللذيْن لا يطمع البصر أن ينظر إلى ما هو أعلى منهما، ثم عاد بهم مرة أخرى إلى الأرض، وكيف أنهم سيعودون ليُخرَجوا من جديد، تذكيرا لهم بأن البعث الذي يتساءلون عنه بل وينكرونه أمر ممكن كما يرونه من إخراج الحب والنبات.

﴿وَأَنْزَلْنَا مِنَ الْمُعْصِرَاتِ مَاءً ثَجَّاجًا (14) لِنُخْرِجَ بِهِ حَبًّا وَنَبَاتًا (15) وَجَنَّاتٍ أَلْفَافًا (16)﴾ (النبأ: 14-16)، والمراد بالمعصرات على ثلاثة أقوال:

ـ أنها السموات.

ـ أنها الرياح، ويكون تقدير "من" بمعنى الباء، فتقدير الكلام: أنزلنا بالمعصرات، وقيل للريح معصرات لأنها تستدرّ المطر.

ـ أنها السحاب، والسحابة المُعْصِر التي تتحلّب بالمطر ولما يجتمع، مثل الجارية المعصر، قد كادت تحيض ولمّا حاضت"[17].

ونلاحظ نسبة الإخراج إلى الله تعالى تذكيرا لهم بأن إنبات النبات والحَب لا يتم إلا بإرادة الله تعالى، وهذه الإرادة عينها تقتضي بأن يُبعَث الناس في يوم من الأيام ليُحاسَبوا على ما فعلوه من دنياهم.

هذه الأدلة التي ساقها الله تعالى نلمس فيها الإعجاز الرباني من حيث اختيار الآيات الكونية التي تتناسب وموضوعَ البعث؛ لأنه تعالى لم يُرِد من خلال سوْق هذه البراهين تذكيرهم بها ولا مجرّد الامتنان عليهم بها، بل أراد سبحانه أن يُعطيَهم أدلة على البعث من خلال هذه الآيات نفسها، فكما أن الله خلقهم أول مرة فهو أقدر على إعادة خلقهم، وكما أنه قدّر عليهم النوم ثم الاستيقاظ منه كذلك، فإنه سبحانه قدّر عليهم يوما يستيقظون فيه للحساب والنشور، إلى مثل ذلك في باقي الأدلة الأخرى.

يقول سيد قطب معقبا على الاستدلال على البعث بهذه الآيات "إن لهذا الكون خالقا، وإن وراء هذا الكون تدبيرا وتقديرا وتنسيقا، وتوالي هذه الحقائق والمشاهد في هذا النص القرآني على هذا النحو: من جعْل الأرض مهادا، والجبال أوتادا، وخلْق الناس أزواجا، وجعل نومهم سباتا (بعد الحركة والوعي والنشاط)، مع جعل الليل لباسا للستر والانزواء، وجعل النهار معاشا للوعي والنشاط، ثم بناء السبع الشداد، وجعل السراج الوهاج، وإنزال الماء الثجاج من المعصرات، لإنبات الحب والنبات والجنات...توالي هذه الحقائق على نحوٍ يوحي بالتناسق الدقيق، ويشي بالتدبير والتقدير، ويُشْعر بالخالق الحكيم القدير"[18].

ثالثا: يوم الفصل وبيان حال كلٍّ من المؤمنين والمكذّبين

وبعد هذا العرض الرباني للأدلة والبراهين الناطقة بإمكان البعث بل وضرورته، كان لا بدّ من ذكر اليوم الذي يتم فيه البعث، وهو يوم القيامة، واختيار اسم "يوم الفصل" من بين الأسماء الأخرى لهذا اليوم مناسب تماما لموضوع السورة، لأنه في هذا اليوم سيتم الفصل في أمر هذا النبأ العظيم، وحسم الموضوع الذي هو سبب الاختلاف والتساؤل، فما يناسب اختلافهم هو مجيء يوم للفصل بينهم فيه.

هذا اليوم الذي تنقلب فيه الموازين، وتتبدل الأوضاع حتى لَتُبدَّل الأرض غير الأرض والسموات، يبدأ بنفخة في الصور، ثم يأتي الناس أفواجا، وخاطبهم الله تعالى بضمير المخاطَب، فقال أي أمما، كل أمة بإمامها، وقيل:

جماعات مختلفة[19]، كما أنتم اليوم متفرقون في موضوع النبأ جماعات مختلفة يسأل بعضكم بعضا، فإنكم ستأتون كلكم يوم القيامة زُمرا وجماعات.

وفي هذا اليوم لشدة هوله تنقلب حال اثنين من أكثر الأشياء عظمة وهيبة، وهما السموات والجبال، فالأولى تتفتح فيه الأبواب حتى لَكأنها كلها أبواب، و"المعنى كثرة أبوابها المفتحة لنزول الملائكة حتى لَكأنها ليست إلا أبوابا"[20]، والجبال الرواسي الشامخات تُنسَف نسفا فتكون كأن لا وجود لها في الحقيقة[21].

بما أن هذا اليوم يوم فصلٍ بين المختلفين، فإن كُلاًّ من الفريقين لا بد أن ينال جزاءه بما يتناسب وموقفَه في الدنيا، فليس من كان مؤمنا كمن كان فاسقا.

وبدأ القرآن ببيان فريق المكذبين والمُعْرضين عن هذه الآيات والأدلة الساطعة، ولعل سبب البدء بهم أنهم كانوا هم الأكثر وقت نزول السورة، أو لأنهم كانوا الأكثر تساؤلا ولجاجا وعنادا.

ويَعرِض القرآن في هذه الآيات مصير المكذبين المعرضين عن الآيات والبراهين، فيكون جزاؤهم المصيرَ إلى جهنم واللبث فيها أحقابا ومُددا لا تنتهي أبدا، والقرآن هنا يذكر السبب الذي لأجله نالوا ما نالوا من عذاب، وأنهم كانوا لا ينتظرون حسابا على أعمالهم، وكذبوا بآيات الله كذابا، وهذان السببان بينهما من الترابط الشيء الكثير؛ لأن السبب لإنكارهم البعث هو أنهم لم يكونوا ينتظرون يوما يحاسَبون فيه على أعمالهم، فالبعث ليس إلا مقدمة للحساب، وإنكارهم للمقدمة إنكارٌ للنتيجة حتما، وهذا ما ذكره القرآن في أكثر من موضع، فقال: ﴿وَإِنْ تَعْجَبْ فَعَجَبٌ قَوْلُهُمْ أَئِذَا كُنَّا تُرَابًا أَئِنَّا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ وَأُولَئِكَ الْأَغْلَالُ فِي أَعْنَاقِهِمْ وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ (الرعد: 5)، وقال: ﴿ذَلِكَ جَزَاؤُهُم بِأَنَّهُمْ كَفَرُواْ بِآيَاتِنَا وَقَالُواْ أَئِذَا كُنَّا عِظَامًا وَرُفَاتًا أَإِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا﴾ (الإسراء: 98)، إلى غير ذلك من الآيات.

والسبب الآخر الذي استحقوا لأجله دخول جهنم والمكث فيها هو تكذيبهم بالآيات الإلهية، والمراد هنا مطلق الآيات سواءٌ منها القرآنية أو الكونية، وهذا يتلاءم مع ما تقدم إيراده من آيات وبراهينَ دالةٍ على حتمية البعث، وكأن الله تعالى يقرر أنه لا يمكن لأحد أن ينكر البعث مع وجود كل هذه الآيات الدالة

عليه إلا إذا كان في قلبه كِبْر وهوى وتقليد أعمى للآباء، وإلا فالآيات من الوضوح حيث لا يمكن إلا الإقرار بصحتها وصدقها[22].

فهذه الآية هي كالإلزام والتهديد لهم نظرا لقيام الحجة عليهم، كأن الله تعالى يخاطبهم فيقول: كما أن البراهين ساطعة إلا أنكم لا تزدادون إلا تكذيبا، إذا فذوقوا ألوان العذاب فلن نزيدكم إلا عذابا.

وجَرْيا على أسلوب التناظر؛ فإن القرآن الكريم لمّا عرض حال المكذبين الطاغين، فإنه عرض حال المؤمنين المتقين وما أعده لهم من نعيم، وذلك لأنهم اتبعوا الحق لمّا ظهر لهم، وصدّقوا بالآيات الدالة على البعث وآمنوا بهذا اليوم وأعدّوا له ما يتناسب معه من أعمال، فنالوا جزاء أعمالهم.

من العجيب أن القرآن الكريم لمّا عرض حال المكذبين والمتقين قابَلَ بين الصورتين على سبيل التناظر والتقابل؛ فقال عن المكذبين إن جهنم لهم مرصادا: أي ترصد حركاتهم حتى تضيق عليهم الأرض بما رحبت، وقال عن المتقين ﴿إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا﴾ (النبأ: 31)، أي بساتين واسعة[23].

وقال إن جهنم هي المآب للمكذبين، لكن المتقين يكون مآبهم إلى حدائق وأعناب.

ووصف حال المكذبين فقال ﴿لَا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا وَلَا شَرَابًا (24) إِلَّا حَمِيمًا وَغَسَّاقًا (25)﴾ (النبأ: 24- 25)، فهم لا يتمتعون بأبسط شيء ألا وهو ما يطفئ ظمأهم، أما المتقون فيتمتعون بالكواعب الأتراب وبكأس خمر ممتلئات لا تنقطع.

والمكذبون يخاطبهم الله بخطاب ييئسهم ويُقنّطهم، فيقول ﴿فَذُوقُوا فَلَنْ نَزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَابًا﴾ (النبأ: 30)، حتى قيل إن أشد قول على أهل النار هذا القول[24]، أما المتقون فهم لا يسمعون لغوا ولا كذابا.

وقال عن الكفار ﴿جَزَاءً وِفَاقًا﴾ (النبأ: 26): أي موافقا لأعمالهم، أما عن المؤمنين فقال ﴿جَزَاءً مِنْ رَبِّكَ عَطَاءً حِسَابًا﴾ (النبأ: 36)، أي أنه تفضل عليهم من إحسانه وكرمه حتى كفاهم وأوفاهم[25]، كأن أقصى ما عاقب به الكفار أن حَرَمهم من إحسانه، وعاملهم بالعدل، وجازاهم نظير ما قاموا به، أما المتقون فعاملهم بالإحسان والمنّ والكرم.

رابعا: الجزاء والحساب يوم القيامة

وشرع سبحانه في بيان صفة ذلك اليوم المتساءل عنه ألا وهو يوم البعث؛ فصدّر ذلك بتقرير ربوبية الله تعالى على الخلائق جميعا، من سموات إلى أرض إلى ما بينهما، وفي هذا اليوم ذكر حالتيْن ووصفين؛ فقال ﴿رَبِّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا الرَّحْمَنِ لَا يَمْلِكُونَ مِنْهُ خِطَابًا﴾ (النبأ: 37)، وقال: ﴿يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ وَالْمَلَائِكَةُ صَفًّا لَا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَقَالَ صَوَابًا﴾ (النبأ: 38).

ويبدو أن هذين الوصفين هما أكثر ما يلفت الانتباه في هذا اليوم، فإذا كان الناس في الدنيا ـ وخاصة كفار مكة ـ تعلو أصواتهم ويتكلمون بالتساؤل حول البعث، ويسألون مرة بعد أخرى، ويختلف بعضهم مع بعض في هذا الموضوع، ويكثر بينهم النقاش والجدل، وحتى حين تظهر لهم الدلائل والبراهين الناطقة بالبعث فإنهم يقولون من القول ما يفيد تكذيبهم به كذابا، إذا كان حالهم في الدنيا فإنهم يوم البعث في حاليْن:

حال لا يملكون خطابا، وذلك من شدة الصدمة وهول الوقعة، وبيان جهلهم وإعراضهم عن الحق الذي دفعهم إليه اتباع الهوي وتقليد الآباء، فهم لا يهتدون قولا، ولا يُحيرون جوابا.

وحال لا يتكلمون: أي ولو فُرض لهم الاستطاعة لما تكلموا، لأنهم لا يُؤذَن لهم، وكيف؟، وفي ذلك اليوم لا تتكلم الملائكة والروح ـ وهم مَن هم في طاعتهم ـ إلا بإذنٍ من الرحمان، فكيف يتكلم هؤلاء الكفار يوم القيامة؟.

﴿ذَلِكَ الْيَوْمُ الْحَقُّ فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذَ إِلَى رَبِّهِ مَآبًا﴾ (النبأ: 39): أي الثابت وقوعه[26]، أو هو النبأ الفصل الذي لا مراء فيه ولا مجال للتشكيك حوله، فضلا عن إنكاره والتكذيب به.

وفي هذا اليوم ينظر المرء ما قدّم من أعمال، وما أسلف من أفعال، ليجازى عليها، ويبلغ هذا اليوم من عدله أن يقتص الله من جميع الخلائق، حتى من الشاة الجلحاء من الشاة القرناء، ويصيّرهما الله تعالى ترابا، وهنا يتحسّر الكافر ويتمنى لو عاد ترابا كهاتين الشاتين فرارا من الحقيقة الصادمة؛ حقيقةِ أنه كذّب بالحق في الدنيا، وحقيقةِ ما سيلقاه من عذاب يوم القيامة.

وهنا انعطافة إلهية معجزة؛ لأن الله تعالى ذكر التراب هنا تذكيرا لهم بالبعث، لأنه يكون من التراب، فكما أنهم أنكروا البعث والنشور، فإن الله تعالى يحذّرهم بأنه يأتيهم يوم يتمنون فيه فعلا لو لأنهم لم يُبعثوا ولم يُخرَجوا، بل بقوا ترابا، لكن عدل الله تعالى قضى أن يجعل يوما للخلائق يحاسبون فيه على أعمالهم، إن خيرا فخير، وإن شرا فشرٌ.

مطلب ختامي: فذلكة ختامية للسورة

بعد هذا العرض المقتضب لمحاور سورة النبأ وموضوعاتها، يَحسُن الوقوف عند فكرتها الأساس، والتي دار حولها فلك السورة؛ وهو إثبات البعث.

وإن كان البعث هو الهدف الذي تريد السورة إثباته والتدليل عليه، فإنها انتهجت لذلك منهجا متميزا، فريدا من نوعه، إذ المقصود هو تغيير نمط تفكير كفار مكة ـ والبشرية من بعدهم ـ وليس مجرد استبدال فكرة بفكرة.

أولا من المعروف أن ما كان يعتقده كفار مكة، وما وصلوا إليه من انحطاط فكري وأخلاقي، ليس سوى نتيجة لطريقة تفكيرٍ تقدِّس التقليد، وتدعو إلى إتباع الآباء والأجداد دون تمحيص ولا تفكير، وترفض أي وجهة نظر مختلفة عمّا اعتادت عليه.

ثانيا: يجب أن لا نظنّ أن كفار مكة سيقبلون فكرة التوحيد بمجرد دعوة النبي ﷺ لهم، وسيتركون لأجلها ميراث الأسلاف، بل لا بد أن تجابَه الفكرة الإسلامية بالرفض والعناد.

لذلك فالجوّ الذي نزلت فيه السورة جوٌّ وثنيّ منغلق، مُقدِّس للتقليد، ويرفض أيّ نقد للفكرة التي اعتاد عليها، وتسيطر عليه فكرة الوثنية بشكل كليّ، وحتى يكون التغيير فعّالا ودائما فلا بدّ من تغيير نمط التفكير الذي أنتج مثل هذه الأفكار، وقبْلَه تغيير الجوّ الذي يُحرِّم النقاش والاختلاف، ويجعل الفكرة الخاطئة صحيحةً فقط لأنها أقدم وأكثر جمعا.

فإذا ما أشاع القرآن جوّ النقاش والأخذ والردّ، ثم ناقَشَ القومَ بما يفهمونه، واستدلّ على فكرته بما يروْنه من آيات وبراهين، فإن الغلبة ستكون حتما لفكرة التوحيد باعتبارها الفكرة الوحيدة الصحيحة في مقابل كل الأفكار الوثنية الأخرى.

وهذا عين ما نجده في هذه السورة؛ إذْ بدأت بسؤال عن التساؤل وموضوعه، كأنها حكت بما يفيد الإقرار عن تساؤلهم، وأخذهم وردّهم لفكرة التوحيد التي أتى بها النبي صلى الله عليه وسلم.

وأول ما تقصد إليه السورة هو إشاعة جوّ التساؤل والاختلاف، حتى يتعلم الناس طرح الأسئلة والإجابة عنها، وهذا معنى التساؤل؛ أي أن يسأل بعضهم بعضا، أو أن يطرح الكثير من الأسئلة حتى كأن كل واحد يسأل نفسه ويسأل غيره.

ثم قدّمت لهم السورة آيات وبراهينَ تتفق في طبيعتها مع موضوع البعث؛ من تمهيد الأرض، وخَلْقهم أزواجا، وتذكيرهم بنعمة النوم والسبات، وإخراج النبات من الأرض بماء المطر، فهذه كلها أمثلة ـ أو نماذج مصغّرة ـ عن عملية البعث بما يَروْنه ويشاهدونه في حياتهم اليومية.

عقب ذلك أخبرهم أن ما يتساءلون عنه ويختلفون فيه سيأتي يوم للفصل فيه وحسم مادة الخلاف، وهو يوم القيامة، الذي له ميقات محدود وموعد مضروب.

وبيّن عاقبة كِلا الفريقين المختلفيْن؛ فأما المكذبون الذين أبوْا واستكبروا رغم نطق الآيات والشواهد بحقيقة البعث، فإن لهم جهنم مآبا ومصيرا.

وهنا لا بد من إعادة التأكيد على أن ما يلاقيه هؤلاء الكفار من عذاب يوم القيامة هو جزاء لإتباعهم الهوى والتقليد الأعمى للآباء والأجداد، وليس أنهم لم يتبّعوا فكرة التوحيد ويقبلوا بحقيقة البعث، فليس الأمر معارضة فكرة بفكرة، وإنما هو طريقة تفكير خاطئة لدى هؤلاء الكفار جعلتهم يصدّون عن الحق رغم وضوح آياته وبراهينه، لذلك سُمّوا "كفارا"، والكَفر هو الستر والتغطية[27]، ولا يمكن لإنسان أن يستر شيئا إلا وهو يراه أو يعلم بوجوده، إذا؛ فما ساقه الله لهم من براهين وحجج من الوضوح بحيث لا يُعْرِض عنها إلا مَن اتبع هواه فختم الله على قلبه وسمعه، فهم لم يكن لديهم مانع من الإيمان إلا إتباع أهوائهم وأَنَفَتهم واستكبارهم الذي دعاهم إلى الكفر بالحق ـ أي ستره ـ رغم وضوحه وجلائه.

لذلك نجد أن القرآن الكريم في غير ما موضع ينسب المرض إلى القلب، ولا ينسبه إلى العقل، إذ الأخير ليس سوى آلة تنتج الأفكار، أما القلب فإنه حين

يمرض ويسيطر عليه الكبر والغرور، فإنه يُعْمي العقلَ ويجعله يكفر بالحق وينكره، فالعلة في قلوبهم التي أصابها مختلف أنواع الأمراض القلبية، وليست العلة في عقولهم؛ لأن أدنى جهد عقلي ـ حين يتخلص من سيطرة القلب ـ فإنه يوصِل إلى الحقيقة، والتي هي هنا البعث، لذلك جعل النبي ﷺ مناط الصلاح والفساد على القلب، وليس العقل، قال ﷺ: "ألا إن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله، وإذا فسدت فسد الجسد كله، ألا وهي القلب"[28].

ثمّ بينت السورة عاقبة المؤمنين المتّبعين للحق، والذين لم تمنعهم قلوبهم من الاستجابة للحقيقة الواضحة، بل كانت قلوبهم مؤمنة مطمئنة بالإيمان، والإيمان لا يكون إيمانا إلا إذا كان تصديقا قلبيا، وليس مجرّد اقتناع عقلي، فلا جرم أنهم استحقوا الجنة وما فيها من النعم، وحُقَّ لهم كل الملذات، حتى إنهم لا يسمعون من القول إلا ما يحبون، فما بالك بما دون ذلك من النعم[29].

وانعطفت خاتمة السورة على مطلعها بالحديث عن يوم الفصل، وما فيه من أحداث وعظائم، لدرجة أن الملائكة ـ وهم مَن هم في طاعتهم ـ لا يتكلمون إلا بإذنٍ الرحمان، فما بالك بهؤلاء المعاندين الذين تعلو أصواتهم بالحجاج والمجادلة ثم التكذيب، فهم لا يملكون خطابا ولا كلاما.

وختمت السورة بتذكيرهم أنهم في ذلك اليوم سيتمنون لو أنهم لم يُبعَثوا بل بقوا ترابا.

خاتمة:

في هذه السورة يقدّم لنا القرآن الكريم منهجا متكاملا للتعامل مع الأسئلة ـ وإن كثرت وأصبحت تساؤلات ـ:

فالخطوة الأولى: هي الاعترافُ بالسؤال كحقّ مشروع، وأن نتساءل عن موضوع السؤال " عم"، بدل المسارعة بتقديم إجابات متعجلة، والاعترافُ كذلك بالاختلاف كطبيعة بشرية، بل كنتيجة حتمية لفعل التساؤل.

الخطوة الثانية: هي تقديم البراهين التي تناسب الموضوع وتقرّب الفكرة، والانطلاق من أرضيات مشتركة مع السائل للوصول معه إلى ما نريد أن نُقْنعه به، كما فعلت سورة النبأ، إذ بدأت من أدلة وشواهدَ يراها القوم المتسائِلون كل يوم.

الخطوة الثالثة: بيان عاقبة مَن قَبِل الحقيقة، ومَن لم يقبلها، كما أوضح الله تعالى أن مصير المكذبين بالبعث إلى جهنم، ومصيرَ المتقين إلى جنات النعيم.

هذه أهم ثلاث ركائزَ يقوم عليها منهج التعامل مع الأسئلة، ورغم أن السورة مكية النزول، إلا أننا نحتاج ما تقدّمه لنا هي منهج لكي نجابه به موجة الإلحاد والأفكار المنحرفة التي لم تطرق بابنا بل اجتاحتنا في عقر دارنا، ووجدت في عقول أبنائنا وبناتنا أرضا خصبة الانتشار والتوسع.

إذ كل الأفكار ـ ملحدة كانت أو مؤمنة ــ إنما بدأت بسؤال ثم أصبحت تساؤلا حتى شكلت فكرة عن موضوع معين، وإذا ما أردنا أن نجابه الإلحاد المعاصر، فإنه يجب حتما علينا أن نتخلى عن منهج الكبت والإغلاق وكبح التعبير ومصادرة حقّ الإنسان في التساؤل، ذلك لأنه ليس منهج القرآن الكريم، فضلا عن أنه مستحيلٌ تطبيقه في واقع اليوم مع ثورة وسائل التواصل وسهولة نقل المعلومات دون رقيب، فلا بد من الاعتراف بحقّ كل إنسان في أن يسأل كما يريد.

ولا يكفي في الإجابة على أسئلة الإلحاد المعاصر تلك الإجابات الجاهزة والنصوص المجتزأة، ولا الخطب الطويلة التي اعتدنا تكرارها حتى ملّها السامعون، لأن ما يطرحه المُلحِدون اليوم يتستر العِلْمية والأكاديمية والمنهجية، فلا بدّ أن تكون إجاباتنا عنها من جنس الأسئلة التي يتمّ طرْحها.

نحن الآن في عصر يَفْرض علينا أن نستمع لشبابنا ونتحاورَ معه حتى لا تتلقّفه هذه التيارات الضالة، وأن نصل معه إلى أفكار تناسب عقله وتفكيره، لا أنْ نلغيَ حرّيته ونمارسَ الوصاية الفكرية والدينية عليه، لأن ذلك لن يزيده إلا تكذيبا بآيات الله كذابا.

قائمة المصادر والمراجع:

- عمر بن علي بن عادل الدمشقي 880 هـ، اللباب في علوم الكتاب، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود، دار الكتب العلمية، لبنان، د.ت.
- نخبة من علماء التفسير وعلوم القرآن، التفسير الموضوعي لسور القرآن، إشراف: مصطفى مسلم، جامعة الشارقة، الإمارات العربية المتحدة، ط1: 1431هـ/ 2010م.
- شهاب الدين محمود الآلوسي البغدادي 1270 هـ، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، دار إحياء التراث العربي، لبنان، د ط.

- برهان الدين إبراهيم بن عمر البقاعي 885 هـ، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، سنة 1984.
- محمد الطاهر بن عاشور 1393 هـ/1973م، التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر، تونس، 1984.
- الحافظ إسماعيل بن عمر بن كثير 774 هـ، تفسير القرآن العظيم، تحقيق محمد حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية، لبنان، ط1: 1419هـ/ 1998.
- محمد بن علي بن محمد الشوكاني1255هـ، فتح القدير الجامع بين فنيْ الرواية والدراية من علم التفسير، تحقيق عبد الرحمان عميرة، دار الوفاء للطباعة والنشر، د ت.
- الحسين بن محمد بن المفضل، المعروف بالراغب الأصبهاني 502 هـ، مفردات ألفاظ القرآن، تحقيق: صفوان عدنان داوودي، دار القلم، دمشق، ط4: 1430 هـ/ 2009م.
- علي بن محمد بن حبيب الماوردي 450 هـ، النكت والعيون، تعليق السيد: بن عبد المقصود بن عبد الرحيم، دار الكتب العلمية، لبنان،، د ط.
- محمد بن جرير الطبري 310 هـ،جامع البيان عن تأويل آي القرآن، تحقيق عبد الله بن عبد المحسن التركي، دار هجر، مصر، ط1: 1422هـ/ 2001م.
- سيد قطب 1966 م، في ظلال القرآن، دار الشروق، مصر، ط1: 1972.
- عبد الحق بن عطية الأندلسي 541 هـ، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، دار ابن حزم، جدة، د ط، سنة 1432هـ.
- جار الله محمود بن عمر الزمخشري 538 هـ، الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، تحقيق خليل محمود شيحا، دار المعرفة، لبنان، ط3: 1430هـ/ 2009م.
- أبو الفرج عبد الرحمان بن علي بن محمد الجوزي 597 هـ، زاد المسير في علم التفسير، دار ابن حزم، لبنان، ط1: 1423هـ/ 2002م.
- أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي516 هـ، معالم التنزيل، دار ابن حزم، لبنان، ط1: 1423هـ/ 2002م.
- محمد بن يوسف بن علي بن يوسف، الشهير بأبي حيان الأندلسي 745 هـ، البحر المحيط، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، دار إحياء التراث العربي، لبنان، ط1: 1423 هـ/ 2002م.

▪فخر الدين بن ضياء الدين عمر الرازي 604 هـ،مفاتيح الغيب، دار الفكر، لبنان، ط1: 1401هـ/ 1981م.
▪عبد الله بن أحمد بن محمود النسفي710 هـ، مدارك التنزيل وحقائق التأويل، تحقيق: يوسف علي بديوي، دار الكلم الطيب، لبنان، ط1: 1419هـ/ 1998م.
▪محمد بن مكرم ابن منظور711 هـ، لسان العرب، دار صادر، بيروت، ط1: 1400هـ/ 1978.

الهوامش:

[1]- عمر بن علي بن عادل الدمشقي 880 هـ،اللباب في علوم الكتاب، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود، دار الكتب العلمية، لبنان، الجزء 20/ ص 92.

[2]- نخبة من علماء التفسير وعلوم القرآن، التفسير الموضوعي لسور القرآن، إشراف: مصطفى مسلم، جامعة الشارقة، الإمارات العربية المتحدة، ط1: 1431هـ/ 2010م، ج9 ص 84.

[3]- شهاب الدين محمود الآلوسي البغدادي 1270 هـ، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، دار إحياء التراث العربي، لبنان، د ط ، ج30/ ص 2.

[4]- برهان الدين إبراهيم بن عمر البقاعي 885 هـ، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، سنة 1984، ج 21 ص 190.

[5]- برهان الدين إبراهيم بن عمر البقاعي، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور،المصدر نفسه، ج 21 ص 189.

[6]- محمد الطاهر بن عاشور 1393هـ/1973م، التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر، تونس، 1984، ج 30/ ص 6.

[7]- للوقوف على أقوال المفسرين في تفسير هذه الآية فليُنظَر: الحافظ إسماعيل بن عمر بن كثير 774هـ،تفسير القرآن العظيم، تحقيق محمد حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية، لبنان، ط1: 1419هـ/ 1998، ج 8/ ص 306.

[8]- محمد بن علي بن محمد الشوكاني 1255 هـ، فتح القدير الجامع بين فنيْ الرواية والدراية من علم التفسير، تحقيق عبد الرحمان عميرة، دار الوفاء للطباعة والنشر، د ت، ج 5/ ص 481.

[9]- أورد الماوردي في النكت والعيون الأقوال في المراد بالنبأ العظيم في هذه السورة؛ أنه القرآن، يوم القيامة، البعث بعد الموت، عن أمر النبي ﷺ، علي بن محمد بن حبيب الماوردي450 هـ، النكت والعيون، تعليق السيد: بن عبد المقصود بن عبد الرحيم، دار الكتب العلمية، لبنان،، د ط، ج 6/ 182. وقد سبقه إليه الطبريفي تفسيره جامع البيان عن

تأويل آي القرآن، محمد بن جرير الطبري 310 هـ، تحقيق عبد الله بن عبد المحسن التركي، دار هجر، مصر، ط1: 1422هـ/ 2001م، ج24/ ص 5.

[10]- سيد قطب 1966م، في ظلال القرآن، دار الشروق، مصر، ط1: 1972، ص 3804.

[11]- فتح القدير، الشوكاني، مصدر سابق، ج6/ ص 482.

[12]- مع ملاحظة أنه بالنسبة للقدرة الإلهية فإن الإيجاد وإعادة الإيجاد متساويان عند الله تعالى، فكل ذلك على الله يسير.

[13]- عبد الحق بن عطية الأندلسي 541 هـ، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، دار ابن حزم، جدة، د ط، سنة 1432هـ، ص 1938.

[14]- جار الله محمود بن عمر الزمخشري 538 هـ،الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، تحقيق خليل محمود شيحا، دار المعرفة، لبنان، ط3: 1430هـ/ 2009م، ص 1172.

[15]- أبو الفرج عبد الرحمان بن علي بن محمد الجوزي597 هـ، زاد المسير في علم التفسير، دار ابن حزم، لبنان، ط1: 1423هـ/ 2002م، ص 1018.

[16]- أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي516 هـ، معالم التنزيل، دار ابن حزم، لبنان، ط1: 1423هـ/ 2002م، ص 1376.

[17]- تفسير ابن الجوزي، ص 1507.

[18]- في ظلال القرآن، ص 3806.

[19]- محمد بن يوسف بن علي بن يوسف، الشهير بأبي حيان الأندلسي 745 هـ، البحر المحيط، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، دار إحياء التراث العربي، لبنان، ط1: 1423 هـ/ 2002م، ج 8/ ص 574.

[20]- الكشاف، ص 1173.

[21]- ذكر الرازي في تفسيره الكبير أن الله تعالى ذكر في مواضع من كتابه أحوال هذه الجبال على وجوه مختلفة، ويمكن الجمع بينها على الوجه الذي نقوله، وهو أن:

- أول أحوالها الاندكاك، وهو قوله تعالى: ﴿وَحُمِلَتِ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةً وَاحِدَةً﴾ (الحاقة: 14).
- **والحالة الثانية لها**: أن تصير كالعهن المنفوش، وذكر الله تعالى ذلك في قوله ﴿وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ الْمَنْفُوشِ﴾ (القارعة: 5)، وقوله: ﴿وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ﴾ (المعارج: 9).
- **والحالة الثالثة** أن تصير كالهباء، وذلك أن تنقطع وتتبدّد بعد أن كانت كالعهن، وهو قوله تعالى: ﴿وَبُسَّتِ الْجِبَالُ بَسًّا (5) فَكَانَتْ هَبَاءً مُنْبَثًّا (6)﴾ (الواقعة: 5- 6).

- **والحالة الرابعة**: أن تُنسَف، لأنها مع الأحوال المتقدمة قارة في مواضعها والأرض تحتها غير بارزة، فتُنسَف عنها بإرسال الرياح عليها، وهو المراد بقوله تعالى: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْجِبَالِ فَقُلْ يَنْسِفُهَا رَبِّي نَسْفًا (105) فَيَذَرُهَا قَاعًا صَفْصَفًا (106)﴾ (طه: 105-106).
- **الحالة الخامسة**: أن الرياح ترفعها عن وجه الأرض فتطير شعاعا في الهواء كأنها غبار، فمَن نظر إليها من بُعْد حَسِبَها لتكاثفها أجساما جامدة، وهي في الحقيقة مارة، إلا أن مرورها بمرور الرياح بها صيَّرها مندكة متفتتة، هي قوله: ﴿وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ صُنْعَ اللَّهِ الَّذِي أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ إِنَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَفْعَلُونَ﴾ (النمل: 88)، ثم بيّن أن تلك الحركة حصلت بقهره وتسخيره، فقال: ﴿وَيَوْمَ نُسَيِّرُ الْجِبَالَ وَتَرَى الأَرْضَ بَارِزَةً وَحَشَرْنَاهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا﴾ (الكهف: 47).
- **الحالة السادسة**: أن تصير سرابا بمعنى لا شيء، فمن نظر إلى مواضعها لم يجد فيها شيئا، كما أن مَن يرى السراب من بُعْد إذا جاء الموضعَ الذي كان يراه فيه لم يجده شيئا، والله أعلم" انتهي قول الرازي، أُنظر: مفاتيح الغيب، فخر الدين بن ضياء الدين عمر الرازي 604 هـ، دار الفكر، لبنان، ط1: 1401هـ/ 1981م، ج 31/ ص 12.

[22]- هل هذا معناه أن القرآن تجاوز مرحلة النقاش – التساؤل ــ المنطقي معهم، لأنه ببساطة حسم مادة الاختلاف، وساق لهم من البراهين ما لا سبيل لأنكاره؟.

[23]- زاد المسير في علم التفسير، ص 1508.

[24]- روح المعاني، الآلوسي، ج 30/ ص 17.

[25]- برهان الدين البقاعي، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، ج 21/ ص 211.

[26]- عبد الله بن أحمد بن محمود النسفي 710 هـ، مدارك التنزيل وحقائق التأويل، تحقيق: يوسف علي بديوي، دار الكلم الطيب، لبنان، ط1: 1419هـ/ 1998م، ج3/ ص 593.

[27]- محمد بن مكرم ابن منظور 711 هـ، لسان العرب، دار صادر، بيروت، ط1: 1400هـ/ 1978، ج5/ ص 145، مادة: كفر.

[28]- متفق عليه، رواه البخاري في كتاب الإيمان، باب فضل من استبرأ لدينه، رقم 52، ص 23، ومسلم في كتاب البيوع، باب أخذ الحلال وترك الشبهات، رقم 1599، ص 750، كلاهما عن النعمان بن بشير – رضي الله عنه –.

[29]- هذا فضلا عن كرامتهم برؤيتهم لله تعالى.